مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وأكثر تلك الكلمات
إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون عليها
إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكان مع هذا يطمع في فيئهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر
صلى الله عليه وسلم على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل
حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا وأخلص سرا كما أظهر جهرا ونفع
الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء وأعوان وحماة وأنصار
كما جاءت به الأخبار وبهذا أجاب بعض أئمتنا رحمهم الله عن هذا
السؤال وقال ولعله لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم من أقوالهم ما رفع
وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي أو
عبد أو امرأة والدماء لا تستباح إلا بعدلين وعلى هذا يحمل أمر اليهود في
السلام وأنهم لووا به ألسنتهم ولم يبينوه ألا ترى كيف نبهت عليه
عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله
عليه وسلم أصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم
في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين فقال إن اليهود إذا سلم أحدهم
فإنما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض أصحابنا ...
البغداديين إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه
فيهم ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وأيضا
فإن الأمر كان سرا وباطنا وظاهرهم الإسلام والإيمان وإن كان من
أهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميز
بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم
بالنفاق

بالنفاق ومن جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار الدين
بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر
منهم وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب
الشارد وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
والدخول في الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم
أن القتل إنما كان للعداوة وطلب أخذ الترة وقد رأيت معنى ما
حررته منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال أولئك
الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة
عليهم من حدود الزنى والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس
في علمها وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي أبو الحسن بن القصار
وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة
الله الآية وقال معناه إذا أظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة
في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم نسختها ما كان قبلها وقال بعض
مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل
لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وإنما
رآها من وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)